«العهد» في الإنجيل الرابع

الأخت باسمة الخوري الأنطونية

إنّ للخلاص بيسوع المسيح تاريخاً تحضيرياً إعدادياً؛ فهو ليس عقيدة وإيماناً نتناقله وحسب، لكنه قصة نخبرها ومسلسل أحداث في حياة شعب إسرائيل. فالخلاص قصة واقعية، قصة يجاهد فيها شعب الله وينتظم ليحيا، يخاطر من أجل إيمانه، ويميّز يد الله من خلال كل الأحداث. من خلال قصة حياته. اختبر إسرائيل أن الله يختاره ويقوده. إن إيمان شعب إسرائيل بعيد كل البعد عن ان يكون لائحة بالعقائد التي يجب أن يؤمن بها؛ انه قصة يندهش أمامها من جيل الى جيل: «تقول لابنك: إننا كنا عبيداً لفرعون في مصر، لكن الله أخرجنا من مصر بيد قوية؛ لقد صنع الله آياتٍ وخوارقَ عظيمةً وهائلةً بمصرَ وبفرعونَ وكلِّ بيته امام عيوننا، وأخرجنا من هناك ليدخلنا ويعطينا الأرض التي حلف عليها لآبائنا» (تث ٦:٢١–٢٣ ؛ رج ٢٦:٥–١٠). تذكّر إسرائيل حدث الخلاص هذا في كل حقبة من تاريخه وخاصة في الأوقات الصعبة؛ فالحدث الخلاصي كما اختبره شعب الكتاب المقدس يحوي وجهين متلازمين :

إخراج من أرض العبودية... وادخال في أرض الموعد
تخليص الشعب من أيدي المصريين... وإيداعه يد الرب
عبور من عبودية فرعون... إلى خدمة الرب.

فلو ان الرب أخرج شعبه ليموت في الصحراء، لما كان الخلاص خلاصاً؛ لذلك فهم الشعب عمل الله الخلاصي كخروج من مصر، من جهة، وسيطرة على أمواج البحر ونصر على غطرسة الفرعون، من جهة ثانية، وكمسيرة في الصحراء، وعهد على الجبل المقدس، ودخول عبر الأردن إلى الأرض الموعودة من جهة أخرى. إن الخلاص هو مسيرة تحرير وظهور وعهد يشكّل الله بدايتها ونهايتها.

الخلاص هو تحرير، أي نصر على الشر وقوى الموت الواقعية؛ إنه تحرير من الظلم بحيث يصبح المحرَّر محرِّراً للآخرين (خر ٢٣:٩). والخلاص هو أيضا ظهور الله بالعمل المحرِّر وبالكلمة: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من منزل العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى سواي» (خر ٢٠:٢–٣). فمن خلال تدخّله في التاريخ يكشف الله عن ذاته، بحيث تصبح قادرين على تسميته «الله الذي ...»، بالعودة إلى تاريخ وعلاقات: «إله أبيك، إله ابراهيم واسحق ويعقوب» (خر ٣:٦) فمن خلال تدخّله بالتاريخ، عرف الشعب الله الذي كشف عن ذاته كإله اليوم، لأنه إله الأمس «إله أبيك»، وإله الغد «أكون معك» (خر ٣:١٢ و ١٤). لكن هذا الكشف أوضح في الوقت عينه أن الله لا يُسبر، وأنه لم يعرَف قط بشكل كامل، لا من خلال حدث التحرير، ولا من خلال عطية الأرض، ولا من خلال عطية شريعة سيناء : ان العطيّة مفتوحة دوماً نحو الأكثر. الله يفتح المستقبل أمام من يرتبط به. فالخلاص هو أيضا عهد، وهو ما يشكل العنصر الاساسي في خبرة الخلاص. ان العهد هو أساس التحرير وثمرته. فإن حرَّر الله إسرائيل فذلك لأن إسرائيل هو شعبه، ولكي يكون شعبه : «إن كان السيد قد تعلّق بكم واختاركم، فلا لأنكم أهمّ من جميع الشعوب، فأنتم أقلها، بل لمحبته ومحافظته على اليمين التي حلفها لآبائكم؛ فأخرجكم بيد قديرة وفداكم من دار العبودية، من قبضة فرعون ملك مصر» (خر ٧:٦–٨)[1].

١– ان اختيار الله المجاني متجذّر أكثر من خبرة العبودية: «لقد رأيت مذلّة شعبي» (خر ٣:٧). منذ قبل عبودية إسرائيل في مصر، كان الله يحبه: «يوم كان إسرائيل فتى أحببته، ومن مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). فالله لم يحبه ويخلّصه لأنه عبد، بل لأنه شعبه حتى أثناء عبوديته.

والعهد هو في الوقت عينه هدف التحرير: «أنا أخرجكم...وأنقذكم... وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها» (خر ٦:٦-٧). إن أهمية الخلاص هي إذاً في الارتباط الجديد الذي سيتم بين الله وشعبه. هذا ما فهمه داود في صلاته: «أيّة أمّة في الأرض مثل شعبك بني إسرائيل الذين اخترتهم لنفسك شعباً، وجعلت لهم اسماً، وعملت لهم تلك الأعمال العظيمة الهائلة... لتجعلهم شعباً لك إلى الأبد» (٢ صم ٢٣:٧). فالتحرير والنصر على الشر لا معنى لهما إلا من خلال العلاقة مع الله المحرِّر.

يقدّم الرب لنا إذاً صداقته. يريد ان يقودنا الى حياة شراكة معه: هذا هو معنى كلمة عهد في الكتاب المقدس. إنه تعبير عن العقد الذي حققه الله بكلمته وبأعماله الخلاصيّة. لقد خلّص الله شعبه من مصر وارتبط معهم بعهد في سيناء، فأعطاهم شريعته والتزم الشعب بحفظها، فأصبح العهد هو الإطار الذي لا حياة لإسرائيل خارجاً عنه، وإن خرج منه يختنق[2]. وقد سمّي الأنبياء «حافظي العهد» لأنهم أخذوا على عاتقهم مسؤولية التذكير الدائم بما يفرضه هذا العهد، لأنهم علموا أن حياة الشعب متعلّقة بأمانته[3]. في أثناء العشاء الأخير ختم يسوع هذا العهد الجديد بشكل أبدي بدمه، فتأكدنا من أن رغبة الله في تحقيق الشراكة مع البشر قد تحققت ونجحت أخيراً.

العهد في إنجيل يوحنا

تأخذ هذه العلاقة بين الله والمؤمنين المكان الأوسع والأهم في الإنجيل الرابع. فإن كانت كلمة «عهد» لا ترد أبداً عند يوحنا، فإن مضمون هذه العبارة يشكّل جوهر إنجيله. فإنجيل يوحنا هو إنجيل العهد الجديد، إنجيل العلاقة الجديدة بين الله وشعبه، من خلال يسوع ابنه الذي حقق هذا العهد باسم أبيه الذي أرسله. فإن كان الخلاص هو تحرير وظهور وعهد، فإن يسوع قد حقق ذلك بشكل كامل. لقد حُرِّر شعب الله من سيادة «أمير هذا العالم»، وكشف الآب للمؤمنين: «من رآني فقد رأى الآب»، وأبرم عهد الحياة الجديدة مع الله لكل من آمن به وبمن أرسله. لقد قام يسوع بعمل أبيه فتَمَّمَهُ بشكل كامل؛ بل إن الله هو مَن تمّم عهده مع شعبه بواسطة ابنه، وبدوره أرسل يسوع رسول الآب رسلاً يكملون ما حقّقه بنفسه.

هذا ما نفهمه من الصورة التي يعطيها الإنجيل الرابع للعهد، فنستطيع بالتالي أن نلخص فكرة العهد بالنسبة إلى الإنجيل اليوحنوي بنقطتين أساسيتين:

١- إن يسوع يحقق خلاص الله لأنه هو والآب واحد: إنّه يحقق عهد الله ويعطي الحياة؛

٢- إن رسل يسوع يكملون عمل الخلاص لأن يسوع وضع هذا العمل بعهدتهم.

الآب والابن واحد ... الابن يحقق خلاص الآب

الآب والابن واحد

لا يهتم يوحنا إلا بالبعد الكريستولوجي للخلاص، وهو بعد لا يشترط إلاّ الإيمان (يو٣:١٦-١٨، ٣٦). فلم يتوسّع بأهمية الشروط التحضيرية المتمثّلة بالشريعة الموسوية، وكمال المحبة، كما عند الإزائيين (متى ١٩:١٧-٢٢؛ مر ١٠:١٨-٢٢؛ لو ١٨:١٩-٢٣)، فالشريعة الموسوية تبدو عنده وكأن الزمن قد تخطّاها، «لأن الله أعطانا بموسى الشريعة، وأما بيسوع المسيح فقد وهبنا النعمة والحق» (يو١:١٧). فإن كان هناك من وصية للتلاميذ فهي المحبة المتبادلة، لكن ذلك لا يعني أنّ المحبة شرط للخلاص بل كشف عن هوية التلاميذ (يو١٣:٣٥)، أي عن الايمان بالابن، رسول الآب.

منذ الآية الاولى يؤكد يوحنا وحدة الآب والابن، دون أن يقع في خطر ذوبان الواحد بالآخر. لكنها وحدة تسمح بالتمييز ضمن الوحدة. إنها بالأحرى وحدة التبادل تعبير عن أن الآب في الابن والابن في الآب[4]؛ فالشراكة بينهما هي إذاً متبادلة، يظهرها الإنجيلي من خلال فكرة وحدة الآب والابن: «انا والآب واحد» (يو

٢- لقد عاش هذا الشعب دائما في خطر كبير ناجم عن عدم فهمه الكافي لجوهر العهد. فقد اعتقد أحيانا أن عهد الله معه هو السعادة المرجوّة ـ وقد فهمها بشكل مادي: السكن في أرض كنعان ـ هي حقّ له بسبب حسن سلوكه، في حين ان عهد الله معه ليس سوى عطيّة مجانية من الخالق المخلّص.

٣- لقد اتّخذت فكرة الأنبياء التي أكملها الحكماء خطّين: نظرة الى الماضي لفهم كل أبعاد العهد، فربط بعضهم عهد سيناء بالوعد الذي لإبراهيم، في حين ربطها الآخر بنوح ليطال العهد كل شعوب الأرض؛ ونظرة الى المستقبل بحيث فهموا ان الشعب قد خان العهد مراراً، وأن الله سيقاصصه، ولكن لا ليميته بل ليطهّره ويقوده إلى شراكة جديدة. لقد رأوا أن الله سيعقد مع شعبه عهداً جديداً. تكلم هوشع عن هذا العهد الجديد كخطبة جديدة بين الله وشعبه؛ ويعلن إرميا أن الله سيكتب شريعته في قلب البشر؛ ويخبر حزقيال كيفية ذلك: يضع الله روحه في قلبنا؛ وبحسب إشعيا الثاني سيكون ذلك عمل يهوه الذي سيحقق هذا العهد لكل الشعوب.

٤- ومن اللافت عند يوحنا طريقته في فهم علاقة الآب بالابن، والابن بالآب، من جهة، وعلاقة الابن بالمؤمنين، والمؤمنون بالآب، من جهة ثانية. فالغريب في الأمر أنّ يوحنا، للتعبير عن هاتين العلاقتين، يستعمل حرفاً يونانياً واحداً، هو εν المترجم بالعربية بحرف الجرّ «في».

١٠: ٣٠)، و«من رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩).

إن ارسال يسوع إلى العالم هو إرسال لسفير، لممثل شخصي منتدب لإيصال رسالة ما أو لتحقيق عمل ما باسم المرسِل. ويعلن الإنجيل الرابع أن يسوع هو ابن الله (الوحيد) الذي في يده السلطة الكاملة، بحيث يستطيع أن يمثّل الآب في كل الأعمال التي تخص ملكه. هذا ما يظهر من العلاقة بين فكرة الإرسال ولقب الابن: ابن الله في الإنجيل الرابع (رج ١٧:٣، ٣٤-٣٥؛ ٥:٢٣؛ ١٠:٣٦). إن يسوع هو الابن الوحيد (يو٣:١٦)، الذي يملك السلطة على كل ملك الآب (يو٣:٣٥)، والذي يحلّ فيه الروح بدون حساب (يو٣:٣٤). وقد أرسله الله إلى العالم متسلّحاً بهذه السلطة، من أجل رسالة واضحة هي خلاص العالم (يو٣:١٧)، وذلك بأن يجعل من الناس أبناء لله، واحداً مع الابن، ومع الآب، ومع بعضهم بعضاً، فيحصلوا بالتالي على الحياة (يو١٧: ٢-٤ت).

ونستطيع بالفعل أن نفهم هذا من خلال الشرائع اليهودية، التي كانت تعتبر حضور الرسول وعمله كحضور المرسِل نفسه وعمله، كما يؤكّد التلمود: שליחו שלאדם כמותו، أي: «رسول الشخص كأنه ذاته». فعمل الرسول قائم اذاً باسم المرسِل. وبالتالي فإن المرسِل هو الذي يعمل برسوله. وبالفعل، فإن يسوع يؤكّد ذلك في يو ١٢: ٤٤ قائلاً: «من آمن بي فليس بي يؤمن بل بمن أرسلني». وفي ١٣: ٢٠ يعلن بأن «من يقبلني يقبل الذي أرسلني»؛ وفي ٥:٢٣ يقول بأنه يجب تمجيد الابن كما يمجّد الآب الذي أرسله، وبأن «من أبغضني أبغض أبي» (يو ١٥: ٢٣). وهذا ما يشدِّد عليه يوحنا بإعلانه أن وحدة العمل بين المرسِل والرسول تترجم وحدتهما: «ألا تؤمن بأني في أبي وأن أبي فيّ؟ إن الكلام الذي أقوله لكم لا أقوله من عندي بل الآب المقيم فيّ يعمل أعماله» (يو ١٤: ١٠).

الابن يحقق خلاص الآب

يدعونا يوحنا من خلال كل الإنجيل لنميّز عمل الآب وراء أعمال يسوع وأقواله. فالله يتجلّى بابنه القادر على أن يؤكّد بأن «من رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، وأنّ «الابن لا يفعل شيئا من عنده، بل يعمل ما رأى الآب يعمله»، فيعلن بكل وضوح أنّ الله أرسل الابن «ليخلّص العالم» (يو ٣:١٧). فبكونه ممثلاً للآب يجب على الابن أن يدخل في العلاقة التي تربط الآب بالعالم. عليه أن يملك كل حقوق الله على العالم، وهي حقوق أخذها من خالق العالم وحاكمه ومخلّصه. لقد وضع الله هذه الحقوق بين يدي الابن (٣:٣٥؛ ١٣:٣)، مما يعني أن الابن قادر على إعطاء الحياة وعلى الحكم (٥: ٢١-٢٢، ٢٦-٢٧؛ ١٠:٢٨-٢٩). من هذا المنطلق نفهم أن يسوع قد نال المجد (١٧:٥،٢٤،٢٢)، كما نال اسم الله (١٧:١١-١٢). لقد أعطى الله البشر ليسوع (رج ٦:٣٨،٣٦-٤٤،٤٠؛ ١٠:٢٨-٢٩؛ ١٧:٦-٧). وأعطى يسوع السلطة على كل بشر كي يعطي الحياة لمن وهبهم له الله (١٧:٢). وعليه فإن يسوع قادر على طلب ما يخصّه. هذا ما يعبّر عنه يوحنا بقوله: «اليوم دينونة هذا العالم. اليوم يطرد سيّد هذا العالم، وأنا متى ارتفعت من هذه الأرض جذبت إليه الكل» (يو ١٢: ٣١-٣٢). لقد ربح رسول الله معركة السيادة على العالم، فملك على ما يعود إليه، ومن خلاله بسط الله ملكه على ما هو له. نعم لقد نجح يسوع بجذب خاصته من دائرة عدو الله الذي يحكم الله ما تاق إليه كل العهد القديم (اش ١١: ١٢ت؛ ٤٩: ٥ت، ٢٢؛ ٥٦: ٣-٨؛ ار ٢٣: ٣؛ ٣١: ٣١؛ با ٤:٣٧ ت؛ حز ١١: ١٧؛ ٢٠: ٣٤؛ ٢٨: ٢٥؛ ١٢: ٣٤، ١٦؛ مي ٢: ١٢؛ ٤: ٦؛ طو ١٣: ٥)، وفي ذلك امتداد لما يعلنه يوحنا: «ولي خراف أخرى» (يو١٠: ١٦) و«أبناء الله المشتتين» (يو١١: ٥٢)، مع التشديد على شمولية عمل يسوع[٥].

إن كل تقرّب من يسوع لا بد وأن يمرّ بالايمان، ففعل جذب يرمز إذاً إلى موقف الإيمان، ولكن في هذه الصورة عودة إلى فكرة العهد وتتميم الخلاص. نحن نعرف أنّ ارتفاع يسوع هو دينونة العالم (١٢: ٣١)، وهذا يعني أنّ هذا العمل، الذي كان من المفترض تقليدياً أن يتم عند مجيء ابن الانسان الثاني، قد تحقق نهائياً عند ارتفاع ابن الانسان. إن ارتفاع يسوع هو الحُكم الذي يعلن انتصار يسوع في مسألة السلطة على البشر، في حين أن عدوّه (سيّد هذا العالم) قد خسر كل حقّ بالمطالبة. إنّ ارتفاع يسوع كعلامة لتتويجه وتمجيده، هو أيضا خلع وطرد لسيّد هذا العالم، بحيث أصبح بإمكان البشر أن تكون لهم حريّة اختيار الايمان بيسوع القادر أن يجذب إليه الكل. لقد نجح يسوع بتميم الرسالة التي

٥- لكن هذا يجب أن يرتبط بـ ٦: ٤٤: «لا يستطيع أحد أن يأتي إليّ إن لم يجذبه الآب». فالمجيء إلى يسوع (الإيمان به) متعلّق بمبادرة الله الآب؛ إن هذا الجذب هو عمل الآب (٦: ٤٤) والابن (١٢: ٣٢) معاً: إن الآب يجذب البشر بيسوع.

أوفده الآب لأجلها. فمن يؤمن بأن يسوع هو رسول الآب يصبح «من فوق»، فيستطيع بالتالي أن يتبع يسوع حيث يذهب (٨: ٢١-٣٠)، فينال الحياة.

صعوبة قبول هذا الخلاص

في لقاء يسوع مع نيقوديمس، نفهم الصعوبة التي واجهها شعب العهد القديم في قبول خلاص الله لا بواسطة نبي، بل بواسطة ابن الله الكلي السلطة، القادر على أن يتكلم ويعمل بسلطة الله شخصياً لخلاص العالم (٣: ١٦-١٨). فقد كان على نيقوديمس أن يختار بين المعرفة التي يملكها من تفسيره للكتب ومن التقاليد التي ترجع الى موسى (رج ٩: ٢٨-٢٩أ)، وبين تأكيد يسوع (٣: ١١) الذي يفسّر الكتب (٣: ١٤-١٥)، لكن سلطته غير معترف بها من قبل اليهود (٧: ١٥، ٤٧-٤٩؛ ٩: ٢٩ب).

لم ير نيقوديمس في يسوع إلا معلماً مثله، وقد أتى ليختبر معرفته، لكن يسوع يعلن أن كلمته ليست كلمة معلم ملهم، بل هي كلمة تتخطى كلام موسى، لأن أحداً لم يصعد إلى السماء ليعرف الأسرار السماوية. إنّ كلمة يسوع هي أسمى من كلام موسى الذي لم يصعد أبداً إلى السماء (٣: ١٢-١٣). ليست المعرفة الحقّة في كلام موسى وتقليده، بل في شخص يسوع القادر وحده على خلق المؤمن بالروح كابن لله: من الايمان، إلى الولادة الجديدة، إلى الخلاص أي ملكوت الله. هذا هو تتميم العهد المنتظر، لكن نيقوديمس كان مؤمناً بأن مواعيد البركة الالهية، أي العهد والخلاص، مرتبطة بالمفهوم المادي الوطني للخلاص، أي بأن يكون الانسان من سلالة إبراهيم، لذلك فسّر الولادة التي تكلّم عليها يسوع بطريقة مادية (٣: ٤)، وكأن الخلاص (الشراكة بالملكوت) يقوم بتغيير السلالة البشرية السيئة (غير المعدّة للحصول على الملكوت) للولادة من جديد في سلالة ابراهيم البشرية، ولم يفهم بأن الملكوت ليس من هذا العالم (١٨: ٣٦). هذا ما سمح ليسوع بتصحيح مفهوم نيقوديمس للولادة ومفهومه الخاطئ للخلاص. فالولادة البشرية ضرورية للعالم الأرضي، في حين أن الولادة بالروح ضرورية للدخول في العالم السماوي أي ملكوت الله (الخلاص). وبالتالي فإن الخلاص غير ممكن دون الايمان بمن أرسله الآب: «تكون له الحياة الأبدية». فإنْ أراد نيقوديمس الخلاص، عليه اتباع يسوع حتى الصليب حيث يعطيه الروح الذي يلده من عل، فيدخل ملكوت السماء. إن الخلاص (العهد) غير ممكن على البشر لأنه لا ينتج عن ولادة بشرية، لكنه أصبح ممكنا لأن الله أراد ذلك فولدنا روحياً، وبالتالي فإن الولادة الروحية هي وجه من أوجه الخلاص التي حققها يسوع.

وتأخذ نصوص الآلام عند يوحنا بعداً رمزياً خاصاً. فاعتقال يسوع هو اعتقال «أنا هو» (يو ١٨: ١-٩)، مع ما يعطيه يوحنا لهذه العبارة من معنى للاسم الالهي (٨: ٥٨ و٢٤؛ رج اش ٤٣: ١٠-١٣). على مدى ثلاث مرات يكرر يسوع «أنا هو»، فيتسبب ذلك بذعر الجنود أمام الظهور الالهي، ويظهر خوفهم من وضع أيديهم الملوّثة على الله الحيّ. وأمام بيلاطس، يظهر يسوع أنه آدم أو ابن الانسان، «هذا هو الرجل»، من جهة (١٩: ٥)، وانه الملك، «هوذا ملككم»، من جهة أخرى (١٩: ١٤)، وفي ذلك إعلان لافتتاح ملكوت الرب الذي وعد به الأنبياء، وهذا ما فهمه بعض الآباء من وقوف يسوع على منصّة القضاء (١٩: ١٣) مؤكداً أن الحكم الالهي الأخير قد حان (١٢: ٣١؛ رج ٥: ٩؛ ٢٢: ٢٧: ٣٩). لقد جلس يسوع على كرسي الملك، «يسوع الناصري ملك اليهود» (١٩: ١٩-٢٢)، فأظهر أنّ الآلام ليست إلا تتويجاً ملوكياً. ومن خلال ما لم يفهمه، أعلن بيلاطس الوثني الاعتراف الشامل بملك يسوع الناصري وبكل اللغات، لقد أعلن افتتاح ملك الله.

أرسل يسوع ليعيد ملك الآب باسم الآب (١٢: ٣١-٣٢). ولكن، بما أن الرسول يمثّل بشخصه من أرسله، فإن الآب ذاته هو من يملك بواسطة الابن (رج ٦: ٤٤). لقد تمم يسوع الخلاص، فأبرم العهد بين الله وشعبه، وأدخل كل مؤمن في شركة الحياة بين الآب والابن. بتتميمه الخلاص بدأت شركة حياة جديدة، شراكة علاقة ثلاثية تتمثّل بالآب والابن والمؤمن، وهو ما نجده في يو ١٧: ٢١-٢٣ (رج أيضاً ١٤: ٢٣). إنه عربون إبرام عهد الله بابنه.

رسل يسوع يكملون عمل الخلاص لأن يسوع وضع هذا العمل بعهدتهم

الابن في المؤمنين، والمؤمنون في الابن

للدلالة على العلاقة التي تربط المسيح بالمؤمنين يستعمل يوحنا الحرف εν، وهو الحرف عينه الذي يستعمله للعلاقة بين يسوع وأبيه. وغالباً ما يستعمل هذا

الحرف مع فعل الكينونة ومع فعل «ثبت» (μενειν) (يو ٦:٥٦؛ ١٥:٧،٦،٥،٤). ففي مقطع إفخارستي الاطار يقول يسوع: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (٦:٥٦)؛ وعن البارقليط يقول بأنه سيأتي ليثبت «مع» التلاميذ وليكون فيهم «ἐν» (يو ١٤:١٧)، فيعرفون «أني في الآب وأنكم فيّ وأني فيكم» (١٤:٢٠)؛ وفي مثل الكرمة يشدّد يوحنا على أن الأغصان هي في الكرمة (١٥:٢)، وثابتة في الكرمة (١٥:٤). فالمؤمن الذي يثبت في المسيح ويثبت المسيح فيه يعطي ثماراً كثيرة، وبعيداً عن المسيح لا يقدر أن يصنع شيئاً، ذلك ان وجود المؤمن متعلق بثبات المسيح فيه وثباته في المسيح[٦].

هذه العلاقة المتبادلة بين الآب والابن، من جهة، وبين الابن والمؤمنين، من جهة أخرى، يوسّعها يوحنا في مقاطع يربط فيها العلاقتين ببعضهما، بحيث يظهر يسوع حلقة الوسط التي تربط الآب بالمؤمنين من خلال علاقته بالآب وبإخوته الذين في العالم. فبتتميمه الخلاص اتسعت وحدة الآب والابن لتشمل المؤمنين: «في ذلك اليوم تعلمون أني في الآب وأنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤:٢٠). إن المؤمنين هم في الابن، والابن هو في المؤمنين وفي الآب أيضاً: «ليكونوا واحداً فينا أيها الآب، كما أنت فيّ وأنا فيك» (يو١٧:٢١). لقد دخل المؤمن بشكل واضح في العلاقة المتبادلة بين الآب والابن، وأصبحت وحدة الآب والابن مثال وحدة المؤمنين[٧].

أن يصبح المؤمنون من الله ، كأبناء له، يعني أن المؤمنين يشاركون الآب والابن وحدتهم وعلاقتهم الأزلية. إنهم كالابن يشاركون الله حياته، ومشاركة الله ليست أبداً مشاركة فردية حسب الإنجيل الرابع. إن جماعة المؤمنين هي التي في الابن وفي الآب، وهي التي تكون واحداً في الآب وفي الابن. فإن كانت كينونة الله الأبدية هي في البداية آب – ابن – روح، فإن كينونة الله الأسكاتولوجية هي نتيجة لصيرورة أبنائه بحيث تصبح آب – ابن– روح قدوس– وجماعة الذين آمنوا فأصبحوا واحداً مع بعضهم ومع الله. والذي هو من الله، يعمل أعمال الله. إن المؤمنين بالابن يقومون بما أوكله الابن إليهم : عمل الخلاص.

رسل الابن يكملون مهمة الابن

إن يسوع هو رسول الآب، الممثل الوحيد لله **المخلّص**، والله هو الذي يعمل من خلاله فيحقق الخلاص (بحسب أشعيا النبي، «أنا هو» الوحيد الذي يخلص). إن يسوع هو رسول الآب الأسكاتولوجي، إنه الطريق الوحيد إلى الآب، طريق الخلاص الوحيد، المخلص الأوحد. من لا يقبل يسوع كرسول الآب الأسكاتولوجي تتحوّل إمكانية الخلاص بالنسبة إليه إلى حكم أكيد (٨:٢٤): «إن لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم»، ويعلن انه ذاهب حيث لا يستطيع اليهود أن يأتوا (٨:٢١–٢٣). لكن الرسول الخاص يستطيع أن يقيم رسولا مكانه، بحيث يرتبط الأخير بالمرسِل الأساسي، وذلك من خلال العلاقة القانونية عينها التي تربط المرسَل بالمرسِل الأول[٨]؛ فعندما يحصل ما يمنع الرسول من إتمام مهمته ، يقيم هذا الأخير مكانه من يكمل المهمة ويتممها.

يرتبط رسول الرسول بعلاقة مباشرة مع المرسِل الأساسي بواسطة رسوله الأول؛ وقبول رسل الرسول هو قبول للمرسِل نفسه: «من يقبل الذي أرسله يقبلني يقبل الذي أرسلني». لقد أصبح التلاميذ شركاء في العلاقة التي تربط الآب بالابن: «اذهبي وقولي لإخوتي، إني صاعد إلى أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم » (٢٠:١٧)، أي أن وحدة الآب والابن قد امتدت لتشمل رسل الرسول: «كما أنت فيّ وأنا فيك، أيها الآب، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني» (١٧:٢١).

لهذا السبب نجد يسوع يعطي تقريراً عن رسالته أمام تلاميذه (يو ١٧)؛ فإن كانوا سيصبحون رسلاً مكانه، فعليهم أن يعرفوا تماماً جوهر الرسالة التي سيضطلعون بها. وفي يو ١٧:١٨ يعلن

٦– يعبّر يوحنا أحياناً عن العلاقة المتبادلة بين المسيح والمؤمن باستعماله حرف الجرّ ἐν في آيات أخرى. فالمؤمن يثبت في كلمة المسيح (٨:٣١)، وكلام المسيح يثبت فيه (١٥:٧). ويجد المؤمن السلام في المسيح (١٦:٣٣)، ويجد المسيح فرحه فيه (١٥:١١)، ويثبت المؤمن في محبة المسيح، تماماً كما يثبت المسيح في محبة الآب (١٥:٩ت ؛ ١٧:٢٦). تمجّد الابن في المؤمنين (١٧:١٠)، وتمجد الآب في الابن (١٣:٣١؛١٤:١٤) .

٧– صحيح أن كلمة κοινωνία غير واردة في الإنجيل الرابع، لكنها في رسالة يوحنا الأولى – حيث نجدها أربع مرات – تعني المشاركة والاتحاد العميق، دون أن يؤدي ذلك الى الذوبان، لا بين الآب والابن، ولا بين الابن والمؤمنين.

٨– *Qidd* 41a; *Gitt* 3,5-6 : 29b

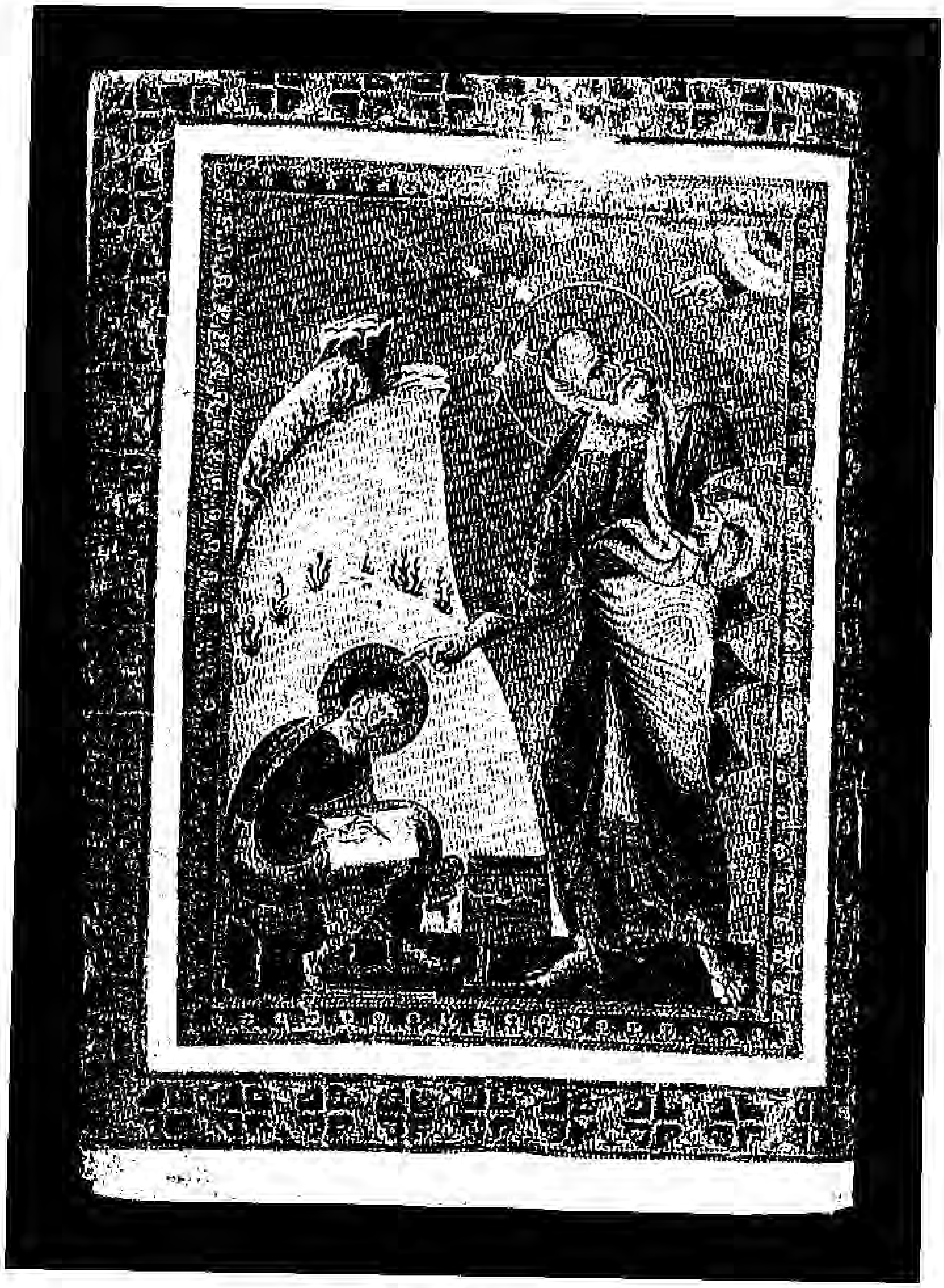

يوحنا الإنجيلي

يسوع لأبيه نقل رسالته إلى تلاميذه: «كما أرسلني إلى العالم، أنا أيضاً أرسلهم إلى العالم»، ويقيمهم ممثّلين له: «كما أرسلني الآب أنا أيضاً أرسلكم» (يو ٢٠:٢١-٢٢)؛ وكما أعطى الآب الروح ليسوع بحيث يستطيع أن يتمّ رسالته (٣:٣٤-٣٥)، يعطي يسوع الروح لتلاميذه ليقدروا على إتمام الرسالة: «ونفخ فيهم وقال: «خذوا الروح القدس»: ليؤمن الناس بيسوع من خلال كلامهم (١٧:١٠؛ رج ٣:٣٤)، ويؤمنوا بأن يسوع هو رسول الآب (١٧:٢١، ٢٣؛ رج ٣:٣٦، ١٨) والحياة الأبدية هي معرفة الله ومن أرسله يسوع المسيح (١٧:٣). إن رسالة التلاميذ هي، اذا رسالة خلاصية تماماً كرسالة يسوع (رج ٣:١٦-١٨)، وعهد الله الذي تمّمه يسوع ما زال بعهدة جماعة المؤمنين أبناء الله.